الأوقاف العلمية والثقافية

أولاً: الأوقاف الخاصة بتعليم القرآن الكريم

وقف الأمير عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود:

أوقف حوشًا شرق شارع الخبيب ليقام عليه مسجد وبيتين للإمام والمؤذن، ويُبنى في الجهة الشرقية منه خمسة دكاكين توقف على جمعية تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، وفي حال عدم وجود جمعية تحفيظ القرآن تعود الدكاكين لإمام ومؤذن المسجد، اثنان وهما الجنوبي من الدكاكين والذي يليه لمؤذن المسجد، والثلاثة الباقية لإمام المسجد، وحدود الدكاكين مبيّنة في صك الوقف، وسعى في إثبات الوقف الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي وكيلاً عن الأمير، وأمضاه رئيس محاكم منطقة القصيم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الخضيري في ١٤٠٨/٧/١٢ هـ[١].

وقف صالح وعبد الله ابني سليمان بن عبد الرحمن الفيز:

أوقفا أرضًا في العكيرشة شرقي بريدة على جمعية تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، وذكرا أن لمجلس الإدارة في الجمعية حق نقل الوقف أو بعضه لشراء أرض أخرى وعمارتها من قيمة الأرض المذكورة لمصلحة الوقف، وأثبته وأمضاه القاضي بالمحكمة الكبرى ببريدة الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الجلو الله في ١٤٠٩/١١/١٤ هـ[٢].

وقف موسى بن حمد العليان:

أوقف عمارة وقطعتي أرض معها واقعة بالشمال الغربي من بريدة غرب طريق المطار المدينة، ومحددة بصك الوقف، ومجموع مساحتها ألف وخمسمائة متر مربع، أوقفها على جمعية تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، أوقفها وقفًا منجزًا تصرف غلتها بعد ترميمها وما يحفظ عينها من إصلاح وصيانة لجمعية التحفيظ، فإن توقفت فتصرف غلتها في أعمال البر، وجعل النظارة عليها لرئيس الجميعة، فإذا آلت غلتها لأعمال البر فالنظارة عليها للناظر على أوقاف الموقف، وأشهد على ذلك عبد العزيز بن حمود

---

(١) صك الوقف من المحكمة الشرعية الكبرى ببريدة رقم ٢/٦٥، وتاريخ ١٤٠٨/٧/١٢ هـ.

(٢) صك الوقف من المحكمة الشرعية الكبرى ببريدة رقم ٥/٢٣٩، وتاريخ ١٤٠٩/١١/١٨ هـ.

التلال وصالح بن حمود البهدل، وأثبت الوقف وأمضاه رئيس محاكم القصيم الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان في ١٤١١/١٢/٢٠ هـ[١].

وقف عبد الله بن محمد العجاجي:

أوقف حوشا واقع بالجهة الشمالية الشرقية من الخبيب ببريدة حدوده وأطواله مبينة في صك الوقفية، أوقفه المذكور لوجه الله تعالى على جمعية تحفيظ القرآن الكريم ببريدة، وأن لها حق الانتفاع به في أي وجه من وجوه الانتفاع للمستحقين من الطلبة والدارسين، وأشهد على وقفيته عبد الله بن سليمان الربدي وصالح بن عثمان البجادي، وأثبت الوقف وأمضاه رئيس محاكم منطقة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان في ١٤١٧/١١/١٣ هـ[٢].

وتوجد أوقاف أخرى لتعليم القرآن الكريم مشتركة مع جمعية البر الخيرية ببريدة، وهي مذكورة في أوقاف المصالح الاجتماعية وأعمال البر العامة.

ثانيا: أوقاف الكتب والمكتبات

وقف الملك سعود بن عبد العزيز:

اشترى الملك سعود بن عبد العزيز حوشا من ورثة عبد الله بن عبد العزيز أبا الخيل واقع شرقي الجامع الكبير ببريدة، اشتراه وكيله الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد باثنين وعشرين ألف ريال عربي، وجعله الملك سعود وقفا لله ليكون مقرا للمكتبة العلمية ببريدة[٣] على نظر فضيلة الشيخ عبد الله ابن حميد، وكتب العقد بينهما في ١٣٧٣/٦/٢٢ هـ، وحدود الحوش كما في العقد: من الغرب والشمال

---

(١) صك الوقف من المحكمة الشرعية الكبرى ببريدة رقم١/١٢٦، وتاريخ ١٤١١/١٢/٢١ هـ.

(٢) صك الوقف من المحكمة الشرعية الكبرى ببريدة رقم ١/٢٣٠، وتاريخ ١٤١٧/١١/١٥ هـ.

(٣) يعد الشيخ عمر بن محمد بن سليم (ت ١٣٦٢ هـ) أول من أسس هذه المكتبة، وكانت في البداية ملحقة بالجامع الكبير ببريدة، ثم أخرجت من المسجد في عام ١٣٧٤ هـ بعد تبرع الملك سعود بمقرها جنوبي الجامع الكبير، وكانت على نظر الشيخ عمر ثم لما ولي الشيخ عبد الله ابن حميد قضاء مدينة بريدة وتوابعها أصبحت على نظره، وبعد انتقاله إلى الحجاز ألحقت المكتبة بوزارة المعارف ولا تزال ملحقة بها (ينظر علماء آل سليم ١/١١٣، ٢/٤٣٢، وإطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية، سعد بن عبد الله الضبيعلن، طبعة ١٤١٥ هـ (١٩٩٤ م) مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص٤٦).

شوارع نافذة، ومن الشرق ملك ورثة صالح العلي أبا الخيل، ومن الجنوب بيت وحوش ورثة الشيخ عمر بن محمد بن سليم[1].

مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العبدان[2]:

أوقفت مكتبته بعد وفاته على مكتبة فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم[3]، وتبلغ عناوين الكتب المطبوعة في المكتبة قرابة ٧٤٠ عنوانا، وفيها بعض المخطوطات الصغيرة، وعددها أربع عشرة مخطوطة، وبعض رسائل ومسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وجلال الدين السيوطي، ومجموعها ٣١ رسالة ومسألة.

مكتبة حكمت هلال:

توجد هذه المكتبة في مكتبة فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وتحوي كتبا نفيسة ومتنوعة، ولكني لم أهتد بعد بحث طويل إلى وقفية الواقف، وهل أوقفها على هذا الفرع أم نقلت إليه من مكان آخر؟ ولذا فلا أستطيع أن أتحدث عنها إلا بعد الحصول على ما يثبت وقفيتها على هذا الفرع.

أوقاف مكتبات وكتب متفرقة:

توجد كتب كثيرة موقوفة في المكتبة العلمية ببريدة، وبعض المكتبات الصغيرة الخاصة، ومن المكتبات الخاصة التي أوقفت على هذه المكتبة إبان نشأتها الأولى: مكتبة الشيخ فوزان السابق[4]،

---

(١) صك حجة استحكام من المحكمة الشرعية الكبرى ببريدة برقم ١/٣٩٠، وتاريخ ١٣٩١/١٢/٣٠ هـ، وقد تغيرت بعض هذه الحدود، كما أن المكتبة العلمية انتقلت من هذا المقر إلى مقر آخر مستأجر في شارع الأربعين، وهي على وشك الانتقال إلى مقر جديد إلى جانب مبنى الإمارة الجديد على شارع الملك فهد.

(٢) الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن سعيد بن عبدان ولد في مدينة بريدة سنة ١٣٢٢ هـ، ودرس على مشايخها، وتولى قضاء الخصيبة ثم نقل إلى قضاء أبها ثم إلى الزلفي ثم إلى عنيزة، توفي سنة ١٤٠٦ هـ (ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤/٢٦٣).

(٣) خطاب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله العبدان لمعالي مدير جامعة الإمام رقم ٤٠٩/٢٥/د وتاريخ ١٤٠٩/٣/٢١ هـ، ورد معالي مدير الجامعة عليه بخطاب رقم ١/٢٢٧ وتاريخ ١٤٠٩/٣/٢٦ هـ.

(٤) الشيخ فوزان بن سابق بن فوزان ولد سنة ١٢٧٥ هـ في مدينة بريدة، وطلب العلم على مشايخها، ورحل لطلب العلم إلى الرياض والهند كما سافر إلى العراق والشام ومصر ودرس على العلماء هناك، واتصل بالملك عبد

وكانت مكتبته أكبر مكتبة في مدينة بريدة في زمنه تضم أمهات الكتب المخطوطة والمطبوعة، ومكتبة الشيخ عيسى بن رميح، وبعض كتب الشيخ عمر بن محمد بن سليم[1].

وهذه نماذج من الكتب الموقوفة على المكتبة، مع بعض صيغ الوقفيات:

ـ كتاب ((غاية المقصود لمن يتعاطى العقود على مذاهب الأئمة الأربعة)) لأحمد الديربي الغنيمي، أوقفه موسى بن جاسم الجويسر، ونص الوقفية كما كتبت على صفحة العنوان ''قد وقف هذا الكتاب موسى بن جاسم الجويسر لله تعالى على يد محمد بن فهد بن بشر لا يباع ولا يشترى ذلك في ٢١ من جماد ثاني سنة ١٣٢٢ من الهجرة''.

ـ كتاب ((شرح إرشاد الإخوان لمنظومة هداية الصبيان في تجويد القرآن)) لسعيد بن نبهان، ولم يكتب اسم الواقف وإنما كتب على صفحة العنوان: ''وقف لوجه الله تعالى والناظر عليه صالح العجاجي''.

ـ كتاب ((وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني)) للشيخ عبد الرحمن السعدي، أوقفه مؤلفه، وكتب عليه: ''هدية المؤلف لمكتبة بريدة عمرها الله بالعلم النافع'' (مطبوع سنة ١٣٦٨هـ).

ـ مجموع فيه: الرد الوافر، القول الجلي، والكواكب الدرية، وتنبيه النبيه، ورسالة الزيارة، وعقيدة الإمام موفق الدين ابن قدامة، وفائدة في عد الكبائر، وعقيدة أهل الأثر، وذم التأويل (مطبوع سنة ١٣٢٩ هـ)، أوقفه عيسى بن رميح، ونص وقفيته على الكتاب: ''الحمد لله يعلم من يراه بأن عيسى بن رميح وقف هذا الكتاب لوجه الله تعالى، وجعل النظر له في حياته ثم من بعده الصالح من ذريته، فإن لم يكن فيهم أهلا لذلك فلحاكم الشرع في بريدة، شهد على ذلك عبد الله الرشيد الفرج وكاتبه صالح العبد العزيز العجاجي، ١٥ رجب ١٣٤٥ هـ''.

العزيز وشارك معه في بعض حروبه، وعينه الملك معتمدا له في دمشق، ثم نقل عميدا للسلك السياسي بمصر وبقي فيه مدة تزيد على ثلاثين سنة حتى طلب الإعفاء لكبر سنه، كان وجيها ثريا تقيا حسن التبصر في الأمور، توفي سنة ١٣٧٣ هـ (ينظر علماء آل سليم ٤٣٠/٢، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٧٨/٥، والأعلام ١٦٢/٥).

(١) ينظر علماء آل سليم ١١٣/١، ٤٣٢/٢.

ـ نسخة أخرى من الكتاب السابق أوقفه عبد الله الفوزان، ونص الوقفية: ''بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب وقف لله تعالى على طلبة العلم في بريدة ثوابه لعبد الله الفوزان شهد به كاتبه عبد الله الرشيد الفرج، حرر سنة ١٣٦٥/٨/٢٨''.

ـ كتاب ((شرح حديث إنما الأعمال بالنيات)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (مطبوع سنة ١٣٥٤هـ)، من خمس الشيخ عمر بن محمد ابن سليم.

ـ كتاب ((رسالة الاجتماع والافتراق في الحلف بالطلاق)) لابن تيمية، مثل سابقه.

ـ كتاب ((مختصر في فقه الإمام المبجل والحبر المفضل شيخ أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل)) (مطبوع سنة ١٣٤٩ هـ) مثل سابقه.

ـ كتاب ((لباب الألباب)) (مجموع مقالات أدبية وعلمية منتخبة من مجلة الآداب في سنتيها الرابعة والخامسة) لمحرر الجريدة محمود مسعود، أوقفه الأمير فهد آل فيصل.

ـ كتاب ((تاريخ فنون الحديث أو مفتاح السنة)) (مطبوع سنة١٣٣٩ هـ) للشيخ محمد عبد العزيز الخولي، ولم يتبين من اسم الواقف إلا الاسم الأخير ((عقيلي)).

ـ كتاب ((حكم هيئة كبار العلماء (في مصر) في كتاب الإسلام وأصول الحكم)) (مطبوع سنة ١٣٤٤ هـ)، ومعه كتاب ((رسائل الخوارزمي)) (مطبوع سنة ١٣١٢ هـ)، أوقفه عبد الله بن محمد بن دليقان، وكتب عليه ''ملك عبد الله بن محمد بن دليقان وقف لوجه الله تعالى على مكتبة بريدة نرجو الله (أن) يقبله، كتبته بيدي أنا عبد الله بن محمد بن دليقان وصلى الله على محمد''.

ـ كتاب ((فضائل القرآن))، وكتب عليه: ''بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب وقف لله تعالى على طلبة العلم في بريدة، ثوابه لعبد الله بن فوزان رحمه الله، حرر سنة ١٣٦٥، شهد به كاتبه عبد الله الرشيد الفرج''.

ـ كتاب ((تفسير الطبري)) (ابتداء طباعته سنة ١٣٢٣ هـ)، وكتبت الوقفية على أجزاء من الكتاب ونصها: ''بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذا الكتاب المبارك عبد الرحمن العلي القفاري على مكتبة جامع بريدة وجعل الثواب لابنه عبد الكريم رحمه الله تعالى، حرر في ١٥ شوال سنة ١٣٦٦''.

ـ ومن الكتب التي أوقفها الشيخ فوزان السابق الفوزان على المكتبة:

ـــ كتاب ((تفسير البحر المحيط)) لابي حيان، وبهامشه كتاب ((النهر الماد)) لأبي حيان، وكتاب ((الدر اللقيط من البحر المحيط)) لتاج الدين أحمد بن عبد القادر القيسي، (مطبوع سنة ١٣٢٨ هـ) وكتب عليه: ''بسم الله الرحمن الرحيم وقف فوزان السابق هذا المجلد وما قبله وما بعده فوزان السابق لوجه الله، والنظر لعبد الله الرشيد الفرج، شهد على ذلك عبد الله العبد العزيز الحمود بن مشيقح وأخوه حمود وكاتبه عبد الله الرشيد الفرج، حرر سنة ١٣٥٧''.

ـــ كتاب ((أحكام القرآن)) لابن العربي (مطبوع سنة ١٣٣١ هـ)، وكتب عليه ''بسم الله الرحمن الرحيم وقف فوزان السابق هذا الكتاب لوجه الله والنظر لعبد الله الرشيد الفرج، بشهادة عبد الله العبد العزيز بن مشيقح وأخوه حمود وكاتبه عبد الله الرشيد الفرج سنة ١٣٥٨''.

ـــ كتاب ((الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم)) للنحاس، ومعه كتاب ((الموجز في الناسخ والمنسوخ)) لابن خزيمة (مطبوع سنة ١٣٢٣ هـ)، وختم عليه ''وقف لله تعالى فوزان السابق على طلبة العلم في بريدة سنة ١٣٤١''.

ـــ كتاب ((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) لشهاب الدين الخفاجي، وعليه ختم الوقف.

ـــ كتاب ((تفسير المنار)) لرشيد رضا (طبعة ١٣٢٨ هـ) وعليه ختم الوقف.

ـــ ومن إهداءات إبراهيم الراشد الحميد وإخوانه للمكتبة العلمية:

ـــ كتاب ((أحكام القرآن)) لابن العربي.

ـــ كتاب ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني.

هذه بعض النماذج من الكتب الموقوفة على المكتبة العلمية ببريدة، وقبل ختمها لا بد من تسجيل بعض الملاحظات:

١ـــ توجد في المكتبة كتب كثيرة أوقفت و لم يكتب أصحابها وقفياتهم عليها، وعلى بعض الكتب تعليقات تفيد ملكياتها الشخصية.

٢ـــ وكذا يلاحظ أن كثيرا من الكتب فقدت صفحاتها الأولى التي تحمل أسماء أصحابها.

٣ـــ كما طمست أختام شخصية متعددة أو خرقت، وكتبهم وقفت على المكتبة، وقد استطعت

تمييز بعضها بصعوبة بالغة، مثل ختم ((عثمان بن محمد الجلاجل)) والذي ميزت من كتبه في المكتبة قرابة عشرين كتابا، لكن لم يتبين لي إن كان هو الذي أوقفها أم غيره، سواء ورثته أو أن أحدا اشترى كتبه بعد وفاته فأوقفها، خاصة أن كتابا من الكتب المذكورة سابقا، وهو كتاب ((حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم)) يحمل ختم الجلاجل واسم موقف الكتاب عبد الله الدليقان[1]، وبعد سؤال العارفين من أسرة الجلاجل أفادوا أن عثمان الجلاجل كان من طلبة العلم المهتمين بجمع الكتب، لكنهم لا يعلمون شيئا عن مصير مكتبته بعد وفاته.

أما عن السبب في إخفاء الختم أو مسح اسم صاحب الكتاب فيبدو أنه راجع إلى أحد الأسباب الآتية:

أ - رغبة الواقف في إخفاء وقفه من الكتب زيادة في الإخلاص وإخفاء للعمل.

ب - وقد يكون من تصرف الورثة لأسباب متعددة.

جـ- أو تصرفا فرديا من بعض القائمين على المكتبة فيما مضى، ويبدو أن هذا الاحتمال هو الأقوى ؛ لكثرة الأختام الممسوحة أو المطموسة أو المخرومة.

هـ- في كثير من مساجد بريدة مكتبات موقفة عليها، أو تبرعات خصصت لشراء الكتب وجعلها في مساجد محددة، لكن مما يؤسف له أن جل تلك المكتبات لم تثبت وقفياتها بأي وثائق، كما لا يوجد مسؤولية مباشرة عنها لأي جهة رسمية أو شخصية، مما يجعلها عرضة لكثير من المشاكل النظامية والفنية.

ومن أشهر المساجد التي فيها مكتبات ما يلي:

١ـ مكتبة جامع المطوع.

٢ـ مكتبة جامع الراجحي، ومن ضمن مكتبة هذا المسجد أوقفت مكتبة الشيخ صالح الخزيم.

٣ـ مكتبة جامع الراشد.

٤ـ مكتبة مسجد الشيخ عمر ابن سليم.

---

(١) عبد الله بن محمد الدليقان ممن درس على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ودرس بمدرسة بريدة السعودية (علماء آل سليم ١/١٤٨).

٥ــ مكتبة مسجد العويد.

٦ــ مكتبة الشيخ صالح العمري في مسجد العمري.

٧ــ مكتبة مسجد الرميخاني.

٨ــ مكتبة مسجد الضالع.

الأوقاف العامة بمدينة بريدة ملاحظات وتعليقات

بعد السرد الوصفي السابق للأوقاف العامة بمدينة بريدة لا بد من تدوين بعض الملاحظات والتحليلات والتي يمكن إجمالها بالآتي:

١ ــ إنه بالنظر إلى الأوقاف القديمة في مدينة بريدة يتجلى لنا حب المسلمين للخير وتسابقهم لنيل الأجر، فبالرغم من قلة ذات اليد والحاجة والفاقة التي لفت المنطقة فترة طويلة من الزمن ــ والتي ما يزال كبار السن يحكون عنها من قصص الفقر والجوع ما تشيب له الولدان ــ إلا أننا نرى أن الناس كانوا يحرصون على تسبيل أفضل ما عندهم، فمن كان عنده بستان يوقف أفضل نخيله، ومن كان له زرع يحبس أفضل قلبانه، ومن كانت له تجارة يوقف دكانه، وكثير منهم يسبل بعض بيته أو كله أو شيئا منه كحسيه أو بعض منافعه وإن كان لا يملك شيئا غيره، وبعضهم لا يجد إلا ركزة أثل فيقدمها لآخرته ويوقفها، وهذا كله من عظمة هذا الدين ومدى تأثيره في النفوس حتى تغلب حب الخير والنفع للآخرين عند أولئك ــ بالرغم من المسغبة ــ على ما جبل عليه الإنسان من حب المال والطمع فيه، فأين هذا مما يحدث في الدول الكافرة من ادخار كبار الأثرياء للقناطير المقنطرة من الأموال دون أن يتعدى نفعهم للآخرين، بل كثيرا ما يوصي بعضهم بعد موته لكلبه أو هرته بكل ثروته!

٢ــ توجد في مدينة بريدة أوقاف متعددة لم تذكر في هذا البحث على الرغم من الجهد الكبير الذي بذل لجمع المادة العلمية، وهذا راجع لعدة أسباب من أهمها:

أ ــ اندثار كثير من الأوقاف القديمة، وخاصة أوقاف المزروعات مثل بعض أنواع النخيل وشجر الأثل ونحوها، وأحيانا يكون لصعوبة تحديد الوقف دور في ضياعه، وأبرز مثال على هذا كثير مما ورد في وثيقة الأوقاف على إمام جامع بريدة.

ومثل السابق أيضا كون كثير من الأوقاف جعل في المساكن أو المتاجر أو الآبار ـــ على حسب متاحات ذلك العصر ـــ والتي غالبا ما تخرب أو تؤجر بأبخس الأثمان، وليس هناك من يرعى أمرها بالصيانة والرعاية، خاصة مع المستجدات الحديثة، فلا يمكن الاستفادة من بيت أو دكان بني من الطين قبل مائة سنة أو حتى خمسين سنة في الوقت الحاضر، فيكون عرضة لتعطل منافعه أو إهماله وضياعه.

ب ـــ انعدام فائدة بعض الأوقاف في العصر الحاضر، أو قلة الحاجة إليها، مثل توقيف قربة أو سرج أو نعش أو بئر ونحو ذلك مما لم يعد له أي فائدة في العصر الحاضر، إضافة إلى تعطل منافع بعض الأوقاف.

وإنني على يقين بوجود أوقاف كثيرة ومتنوعة، وبالذات على المساجد القديمة، وتؤكد الأخبار الشفهية وجود هذه الأوقاف، مثل أوقاف جامع الشماس وجامع القويع ونحوهما، لكن إثبات هذه الأوقاف في العصر الحاضر بدون وثائق في غاية الصعوبة، وقد قال الشيخ إبراهيم بن عبيد: ''إن الدنيا لم تبسط (على أهل ذلك الزمان) كما بسطت على من بعدهم، فكان الإنسان يعطي وإن كان من قلة، ويبذلون أموالهم في الأوقاف على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والأئمة والمؤذنين، فإنك لا تكاد تجد نخلا من النخيل إلا وفيه تمر معلوم للصوام أو مؤذن المسجد أو إمامه أو مصباح المسجد، ويتسابقون في الخيرات، كما أن غلات الأراضي تكثر فيها الأوقاف، ويعمرون المساجد''[1].

ج ـــ عدم وجود وثائق تثبت كثيرا من الوقفيات، إذ لم يكن من المألوف في نجد عموما التدوين والتسجيل والإثبات، وإنما يكتفى في كثير من الأحيان بالإعلام والإشهار وبخاصة أن أغلب الوقفيات يتولاها الورثة أو قاضي العصر والذي بدوره يوليها أحد الناظرين، بناء على الثقة والأمانة، وقد يموت الوقف بموت الناظر، أو تتسلسل النظارة عليه ومع الوقت تبدأ معالمه بالاندثار، وبالذات إذا كان من الصنف المذكور في الفقرتين السابقتين، وقد تكتب بعض الوقفيات في وصايا الواقفين لكن كثيرا من تلك الوصايا فقدت أو انعدمت، كما قد تثبت الوقفيات في وثائق شخصية يمضيها حاكم الشرع لكن عدم وجود سجلات ودواوين رسمية تحفظ هذه الوثائق يجعلها عرضة للضياع والتلف.

د ـــ كما أن لتصبير الأوقاف مدة زمنية طويلة ـــ والتي كانت منتشرة قديما ـــ سبب في ضياع كثير من الأوقاف، فينتقل الوقف من شخص إلى آخر بالبيع والشراء، ومع تقادم العهد، ووفاة العارفين

---

(١) تذكرة أولي النهى والعرفان ١/١٤٩.

بالوقف يجهل أمره وتخفى حاله فيضيع، وأبرز مثال على ذلك وقف موضي أم أمير بريدة في زمنه عبد الله الفيصل، فبعض كبار السن يؤكد وقفية موضي، لكن بعد متابعتي لهذا الوقف لم أهتد إلى إثباته كاملا، فهو عبارة عن أرض كبيرة تم تقطيعها وتحولت إلى محال تجارية كثيرة وأماكن سكنية، وكل يقول انه اشترى من شخص ومع تتبع سلسلة البائعين تقف السلسلة عند متوفين، كما أن الوثائق التي تثبت هذا الوقف لم استطع الحصول عليها.

وعملية التصبير كانت لها فوائدها في وقتها، فبدلا من تعطل المنافع يتم تأجير الوقف مدة زمنية طويلة، يدفع المستأجر مبلغا معينا نظير استثماره لهذا الوقف، لكن هذا الأمر أدى بكثير من الأوقاف للضياع، فقد يعمد المستأجر إلى البيع مدة زمنية كذلك، وهكذا يدخل الوقف في دوامة زمنية وانتقالية من يد إلى يد.

والعجيب أن المستفيدين من الأوقاف والذين صبروها لم يربطوا مدة الصبرة بحال حياتهم، بل جعلوها تمتد لسنين طويلة، كمائة سنة، وخمسمائة سنة، وتسعمائة سنة، مما حرم الذين أتو من بعدهم من الاستفادة منها، وقد يكون السبب في ذلك هو أنه إذا لم توضع هذه المدة الطويلة فلا يقدم أحد على أخذ تلك الصبر، لكن هذا الأمر يحتاج إلى نظر من الناحيتين الفقهية والمصلحية.

كما ساعد على ضياع هذه الأوقاف المصبرة الطفرة الاقتصادية الكبيرة التي شهدتها البلاد فلم يعد المنتفع من الوقف بحاجة إلى مبلغ زهيد تم تحديده في زمن الفقر وقلة ذات اليد، ومن ثم أهملت أوقاف كثيرة أو تعطلت منافعها لأن تلك الصبر لا يستطيع أحد التصرف بها لنص الموصي على الصبرة أو تحديده للموقفة عليه، فإذا أضفنا إلى ذلك طول المدة نجد أن الوقف يحرم من استثمارات متعددة تعود عليه بالمصلحة والفائدة، خاصة مع فترة الطفرة.

هـ ـ عدم رضا كثير من الواقفين أو الناظرين على الأوقاف عن ذكرها في هذا البحث لتخوفهم من أن تستولي عليها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

٣ ـ نجد أن كثيرا من الأوقاف وخاصة القديمة منها ذات نمط متشابه إلى حد كبير، مثل الأوقاف على المساجد والأئمة والمؤذنين، وهذا راجع ولا ريب إلى حاجة ذلك العصر، إذ لا بد من فهم حقيقة تاريخية مهمة، فالمساجد منذ القدم تحتل مكانة متميزة عند المسلمين، ولذلك أولوها عناية خاصة، فكان لها النصيب الأوفر من الأوقاف، وبالذات عند عدم وجود سلطة ترعى المساجد وتنفق عليها من

خزينة الدولة، كما هو الحال في منطقة نجد عموما، إذ عاشت المنطقة ردحا من الزمان لم تقم فيها سلطة مركزية، بل كانت مفككة تعيش حالة بئيسة من الاضطراب السياسي والأمني والاقتصادي، إلى أن ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ فالتأم شمل البلاد وتحسنت الأوضاع زمنا، لكن الأحوال تبدلت إثر العواصف السياسية الجارفة، إلى أن رسخت الدولة الحديثة وثبتت أقدامها، وطوال العهود السابقة ـــ سوى فترات محدودة ـــ كانت المساجد قائمة على نفقات وأوقاف المحسنين، ولذلك احتلت نصيب الأسد في أوقاف تلك الأزمان.

كما أن قلة ذات اليد في ذلك الوقت تجعل أعمال البر محدودة ومجالات الأوقاف قليلة، فمن يعيش حالة أمنية سيئة ويكون أيضا مشغولا بالبحث عن لقمة يسد بها جوعه لا يفكر بالتعليم مثلا فضلا عن أوقاف له.

وإذا أضفنا إلى ما سبق عدم وجود مؤسسات أهلية أو حكومية تتولى إدارة ورعاية أعمال البر والأوقاف أدركنا سبب تركز كثير من الأوقاف على المساجد، في حين نلاحظ أنه مع انتشار المؤسسات الخيرية وتعدد تخصصاتها في أعمال البر في الوقت الحاضر اتجه الكثيرون إلى الإيقاف على هذه المؤسسات، وإن كانت لا تزال عند الكثيرين فكرة سائدة بأن أضمن الأوقاف هو ما كان على المساجد من أرض للمسجد أو بناء له أو بيت للإمام أو المؤذن، بحجة أنها لا تتعرض للزوال ولا للتغيير ولا للتدخل من الغير باستغلالها أو حرفها عن شرطها الذي أوقفت عليه.

٤ ـــ كثير من الأوقاف حددت مصارفها في زمن كانت الاحتياجات متناسبة مع متطلبات ذلك العصر، مثل وقف الودك لإضاءة المسجد، أو وضع نعش فيه، أو قربة، أو نحو ذلك، فيلاحظ أن كثيرا من النظار في الوقت الراهن يكتفون بمجرد وضع أنوار في المسجد الموقف عليه أو برادة ماء، على الرغم من أن دخل الوقف قد تغير عن السابق فأصبح يدر مبالغ كبيرة، لا تقارن إطلاقا بما ينفق منه على الموقف عليه، وهنا أسجل موقفا يستحق الإشادة والتقدير بما فعله أحد أفراد أسرة آل سعوي من خب المريديسية، فلجدهم الشيخ سليمان بن ناصر السعوي بستان أوقف بعض نخيله، ومع ظهور أنواع جديدة من النخيل فضلها الناس في الوقت الراهن بدأت أهمية النخيل الذي أوقفه الشيخ تقل حتى كادت أن تبور، فقيض الله لها أحد أفراد تلك الأسرة فأزالها واستبدلها بالأنواع المرغوبة حاليا بأن طلب من أحفاد الشيخ أن يتبرع كل منهم بما يقدر عليه من النخيل الجديد، حتى استتم عدد النخيل

كما أوقفه الشيخ، واستمر الوقف كأنما أوقف اليوم.

٥ ــ يلاحظ أن مجالات من الأوقاف لم تطرق بعد إلا قليلا على الرغم من ضرورتها ونفعها، كأوقاف المستشفيات ومراكز العلاج المتخصصة العضوية والنفسية، ومجالات التعليم والبحث العلمي وطباعة الكتب، والمشاريع الزراعية، وبعض الصناعات ذات العلاقة بالمنطقة كصناعة التمور.

٦ ــ لقد افتى بعض علماء مدينة بريدة في مسائل مهمة تتعلق بالأوقاف المعطلة، كاجتهاد الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم بنقل وقف تعطلت منافعه، واجتهاد الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد بتصبير أرض تعطلت منافعها، وكثير من الأوقاف القديمة القائمة حاليا تحتاج إلى اجتهادات مشابهة، وهي تدل على وعي أولئك العلماء لفقه المصالح وسعة أفقهم وبعد نظرهم.